بسم الله الرحمن الرحيم

80- كتاب الدعوات

- وقول الله تعالى :{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} الآية.

قولــه: الدعوات: جمع دعوه وهي المسألة الواحدة والدعاء الطلب والدعاء إلى شيء الحث على فعله ودعوت فلاناً سألته ودعوته استغثته. ويطلق على العبادة. وقال القشيري: جاء الدعاء في القرآن على وجوه منها العبادة "ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك" ومنها الاستغاثة "وادعوا شهداءكم" ومنها السؤال "ادعوني استجب لكم" ومنها القول "دعواهم فيها سبحانك اللهم" والنداء "يوم يدعوكم" والثناء "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن". قولــه: أدعوني استجب لكم – الآيــة: هذه الآية ظاهره في ترجيح الدعاء على التفويض. وقالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء. وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على المراد بالدعاء العبادة لقولــه تعالى{إِنَّ الَّــذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال" الدعاء هو العبادة" ثم قرأ "وقال ربكم ادعوني - الآية" أخرجه الأربعة. وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر "الحج عرفه" أي معظم الحج وركنه الأكبر. ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه "الدعاء مخ العبادة" وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كحديث أبي هريرة رفعه" ليس شيء أكرم على الله من الدعاء" أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة رفعه "من لم يسأل الله يغضب عليه" أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي.

قال الطيبي: معنى الحديث "أن من لم يسأل الله يُبغضه والمبغوض مغضوب عليه والله يحب أن يُسأل. أهـ. ويؤيده حديث ابن مسعود رفعه "سلوا الله من فضله فإن الله يُحب أن يُسأل" أخرجه الترمذي. وقال الطيبي: معنى حديث النعمان أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والإستكانة لــه. وما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه ولهذا ختم الآية بقولــه تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} حيث عبّر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار وجعل جزاء ذلك الصغار والهوان. وعمده من أوّل الدعاء في الآية بالعبادة أو غيرها قولــه تعالى{فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ} وإن كثيراً من الناس يدعوا فلا يستجاب لــه فلو كانت على ظاهرها لم يتخلفوا لجواب عن ذلك أن كل داع يستجاب لــه لكن تتنوع الإجابه فتاره تقع بعين ما دعا به، وتارة يُعوضه، وقد ورد في ذلك حديث أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبادة بن الصامت رفعه " ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ولأحمد من حديث أبي هريرة "إما أن يعجلها لــه. وإما أن يدخرها لــه" ولــه في حديث أبي سعيد رفعه "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعه رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل لــه دعوته وإما أن يدخرها لــه في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" وهذا شرط ثان للإجابة ولها شروط أخرى منها أن يكون طيب المطعم والملبس لحديث "فأني

يستجاب لذلك " ومنها ألا يكون يستعجل لحديث "يستجاب لأحدكم ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي" أخرجه مالك.

1- باب: لكل نبي دعوة مستجابة.

6304- عن أبي هريره أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبيّ دعوة مستجابه يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعتي لأمتي في الآخره**». [أطرافه في: 7474].

6305- عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لكل نبي سأل سؤالاً**» أو قال: «**لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعه لأمتي يوم القيامة**».

قوله: لكل نبي دعوة مستجابة: فيه الإشارة إلى أن بعض الدعاء لا يستجاب عينا. قوله: وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة: في رواية "فأريد إن شاء الله أن أختبئ" وهي للتبرك ولمسلم زاد"فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً".

فائدة: استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الدعوات المجابه ولاسيما نبينا ﷺ وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط والجواب أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعوا تهم فهو على رجاء الإجابة ز وقيل معنى قوله "لكل نبي دعوة مستجابة" أي أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى. وقيل لكل منهم دعوه عامه مستجابة في أمته إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه حكاه ابن التين، قال ابن بطال: في الحديث بيان فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابه. وقال ابن الجوزي. هذا من حُسن تصرفه ﷺ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي ومن كثره كرمه لأنه آثر أمته على نفسه ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها. وقال النووي: فيه كمال شفقته ﷺ فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم.

2- باب: أفضل الاستغفار.

وقوله تعالى{**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**} الآية، وقوله{**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِم**} الآية.

6306- عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**سيّد الإستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوُء لك بنعمتك عليّ وأبوءُ لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال: ومن قالها من النار موقنا بها فمات من يومه، قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها في الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**». [أطرافه في: 6323].

قوله: أفضل الاستغفار: كأن البخاري أراد إثبات مشروعية الحث على الاستغفار بذكر الآيتين ثم بين بالحديث أولى ما يستعمل من ألفاظه وترجم بالأفضلية ووقع الحديث بلفظ السيادة وكأنه أشار إلى

أن المراد بالسيادة الأفضلية ومعناها الأكثر نفعاً لمستعمله. **قولــه: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً – الآية:** كأن البخاري لمحّ بذكر هذه الآية إلى الحسن البصري: أن رجلاً شكي إليه الجدب فقال استغفرالله، وشكي إليه آخر الفقر فقال استغفر الله وشكي إليه آخر جفاف بُستانه فقال استغفر الله وشكي إليه عدم الولد فقال استغفر الله ثم تلا عليهم هذه الآية. وفي الآية حث على الاستغفار وإشارة إلى وقوع المغفرة لمن استغفر. **قولــه: والذين إذا فعلوا فاحشة – الآية:** المعنى تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم فاستغفروا لذنوبهم أي لأجل ذنوبهم وقد ورد في صفة الاستغفار المشار إليه في الآية أخرجه أحمد والأربعة من حديث عليّ بن أبي طالب قال"حدثني أبو بكر الصديق - سمعت النبي ﷺ يقول: ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر فيحُسن الطهور ثم يستغفر الله ﷻ إلا غفر لـه ثم تلا " والذين إذا فعلوا فاحشة" الآية. وقولـه تعالى{**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ**} فيه إشارة إلى أن من شرط قبول الإستغفار أن يقع المستغفر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب. **قولــه: سيّد الإستغفار: قال الطيبي:** لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير لـه اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور. **قولــه: وأنا عبدك:** قال الطيبي: أي أنا عابد لك. ﷺ قولـه وأنا على عهدك: قال الخطابي: يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعه لك ما استطعت من ذلك ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إليّ من أمرك ومتمسك بـه ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر. واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن الواجب في حقه تعالى. وقال ابن بطال: يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا لـه بالربوبية وأذعنوا لـه بالوحدانية. وبالوعد ما قال على لسان نبيه أن من مات لا يشرك بالله شيئاً أن يدخله الجنة. وفي قولـه " ما استطعت" إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله. ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم فرفق الله بعبادة فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم. **قولــه: أبوء لك بنعمتك عليّ:** معناه أعترف. **قولــه: وأبوء لك بــذنبي:** أي أعترف أيضاً. وقال الطيبي: أعترف أولاً بأنه أنعم عليه ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها ثم بالغ فعده ذنباً مبالغة في التقصير وهضم النفس. قلت: ويحتمل أعترف بوقوع الذنب مطلقاً ليصح الاستغفار منه. لا أنه عدّما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنباً. **قولــه: فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت:** يؤخذ منه أن من أعترف بذنبه غفر لـه وقد وقع صريحاً في حديث الإفك وفيه "العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه". **قولــه: من قالها موقناً بها:** أي مخلصاً من قلبه مصدقاً بثوابها.

فائدة: قال ابن أبي جمرة: جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحُسن الألفاظ ما يحق لـه أن يُسمى سيد الاستغفار ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده بـه والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة. واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو. أهـ.

3- باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة.

6307- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

قوله: استغفار النبي ﷺ: أي وقوع الاستغفار منه أو التقدير مقدار استغفاره في كل يوم. قوله: والله إني لاستغفر الله: فيه القسم على الشئ تأكيداً له وإن لم يكن عند السامع فيه شك وظاهرة أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل أن يكون المراد بقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول "استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة" وله في رواية "إنا كنا لنُعد لرسول الله ﷺ في المجلس رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور مائة مرة". قوله: أكثر من سبعين مرة: يحتمل أن يريد المبالغة ويحتمل أن يريد العدد بعينة وأخرج النسائي عن أبي سلمة "إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة" وفي رواية عن أبي هريرة "أن رسول الله ﷺ جمع الناس فقال: يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مره" وعند مسلم بلفظ "إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة" قال عياض: المراد بالغين فتران عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه فإذا فتر عنه لأمر ما عدّ ذلك ذنباً فاستغفر عنه. وقيل هو شئ يعترى القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لإظهار العبودية لله والشكر لما أولاه. وقيل هي حالة خشية وإعظام والاستغفار شكرها ومن ثم قال المحاسبي: خوف المتقربين خوف إجلال وإعظام.

فائدة: استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ هو معصوم والاستغفار يستدعي وقوع معصية. وأجيب بعده أجوبة: منها ما تقدم في الفين. ومنها قول ابن الجوزي: هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد. قلت والراجح عصمتهم ومنها قول ابن بطال: الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير. ومحصل جوابه أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل وشرب أو جماع ونوم وراحة أو لمخاطبة الناس والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم وتأليف المؤلفة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله فيرى ذلك ذنباً. ومنها أن استغفاره تشريع لأمته أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم. وقال الغزالي: كان النبي ﷺ دائم الترقي فإذا ارتقى إلى حال رأي ما قبلها دونها فاستغفر من الحالة السابقة.

4- باب: التوبه

6308- عن الحارث بن سُويد حدثنا ابن مسعود حديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل ، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذُباب مرّ على أنفه» فقال به هكذا قال أبو شهاب بيده فوق أنفه ثم قال: «لله أفرح بتوبة العبد من

رجل نزل منزلاً وبه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسهُ فنام نومةً فاستيقظ وقد ذهبت راحلتهُ حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومةً ثم رفع رأسهُ فإذا راحلتهُ عندهُ».

6309- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكُم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة».

قولـه: التوبة: أشار البخاري بإيراد هذين البابين - وهما الاستغفار ثم التوبة - في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته. وما ألطف قول ابن الجوزي: إذا سُئل أأسبح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور. والاستغفار من الغفران وأصله الغفر وهو إلباس الشئ ما يصونه عما يُدنسه وتدنيس كل شئ بحسبة والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب والتوبة ترك الذنب وفي الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود ورد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها. وهي أبلغ ضروب الاعتذار لأن المعتذر إما أن يقول لا أفعل فلا يقع الموقع عند من اعتذر لـه لقيام احتمال أنه فعل لاسيما إن ثبت ذلك عنده عنه أو يقول فعلت لأجل كذا ويذكر شيئاً يقيم عذره وهو فوق الأول،أو يقول فعلت ولكن أسأت وقد أقلعت وهذا أعلاه انتهى من كلام الراغب. وقال القرطبي: لا تصح التوبة الشرعية إلا بالإخلاص من ترك الذنب لغير الله لا يكون تائباً اتفاقاً. ثم أعلم أن التوبة إما من الكفر وإما من الذنب فتوبة الكافر مقبولة قطعاً وتوبة العاصي مقبولة بالوعد الصادق ومعنى القبول الخلاص من ضرر الذنوب حتى يرجع كمن لم يعمل ثم توبة العاصي إما من حق غيره فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك على ما تقدم غير أن منه ما لم يكتف الشرع فيه بالترك فقط بل أضاف إليه القضاء أو الكفارة وحق غير الله يحتاج إلى إيصالها لمستحقها وإلا لم يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب لكن من لم يقدر على الإيصال بعد بذله الوسع في ذلك فعفو الله مأمول فإنه يضمن التبعات ويبدل السيئات حسنات. قولـه: أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه: قال النووي: قالوا المرفوع "لله أفرح" والأول قول ابن مسعود. وكذا جزم ابن بطال بأن الأول هو الموقوف وهو كذلك. قولـه: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه: قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فإذا رأي من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه، والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيرة من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على شخص لا ينجو منه عادة. وحاصلة أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوةٍ ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله والصالح ويخشى من صغير عملة السيئ. قولـه: وإن الفاجر يري ذنوبه كذباب: أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه. قولـه: فقال به هكذا: أي نحاة بيده أو دفعه، هو من إطلاق القول على الفعل قالوا وهو أبلغ.

قال الطبري: الفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية. وقال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل. قال ويستفاد من الحديث أن قلّ خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره. والحكمة من تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره ويدفع بأقل الأشياء. ومن ذكر الأنف مبالغة في اعتقاده خفة الذنب عنده. قوله: لله أفرح بتوبة العبد: قال القرطبي: هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله ووجه هذا المثل أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسرة وقد أشرف على الهلاك فإذا لطف الله به ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من أسر الشيطان ومن المهلكة التي أشرف عليها فأقبل الله عليه بمغفرته وبرحمته. قوله: مَهلكه: أي تهلك هي من يحصل بها. قوله: حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش: في رواية "حتى إذا أدركه الموت".

الحديث الثاني: قوله: وقد أضله: أي ذهب منه بغير قصده.

قوله: بفلاة: أي مفازة إلى هنا انتهت البخاري. وزاد مسلم "فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها فبينا هو كذلك إذا بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح" قال عياض: فيه أن ما ناله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به.

5- باب: الضجع على الشق الأيمن.

6310- عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشر ركعة فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه. [أطرافه في: 924].

قوله: الضجع على الشق الأيمن: المعنى وضع جنبه بالأرض.

فائدة: ذكر البخاري هذا الباب والذي بعدة توطئة لما يذكر بعدهما من القول عند النوم.

6- باب: إذا بات طاهراً.

6311- عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مُتّ مُتّ على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول؟» فقلت: أستذكرُهُن وبرسولك الذي أرسلت قال: «لا وبنبيك الذي أرسلت». [أطرافه في: 243]

قوله: إذا بات طاهراً: ورد هذا المعنى في عدة أحاديث ليست على شرطة منها حديث معاذ رفعه "ما من مسلم يبيت على ذكر وطهارة فيتعارّ من الليل فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه" أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي. وأخرج ابن حبان عن ابن عمر

رفعه "من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلا يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان". قولـه: أتيت مضجعك: أي إذا أردت أن تضطجع وعند أبي داود والنسائي "إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك". قولـه: ثم اضطجع على شقك: أي الجانب وخص الأيمن لفوائد منها أنه أسرع إلى الانتباه ومنها أن القلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل النوم ومنها قال ابن الجوزي: هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن. قولـه: أسلمت وجهي إليك: أي استسلمت وانقدت وجعلت نفسي منقادة لك تابعه لحكمك إذا لا قدره لي على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها إليها ولا دفع ما يضرها عنها. قولـه وفوضت أمري إليك: أي توكلت عليك في أمري كله. قولـه: وألجأت: أي اعتمدت في أموري عليك لتعينني على ما ينفعني لأن من استند إلى كل شيء تقوى به واستعان به وخصه بالظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه. قولـه: رغبة ورهبة: أي رغبة في رفدك وثوابك ورهبة أي خوفاً من غضبك وعقابك. قولـه: آمنت بكتابك الذي أنزلت: يحتمل القرآن أو يشمل كل كتاب. قولـه: فإن مُتّ. مُتّ على الفطرة: أي على الدين القويم ملة إبراهيم فإنه ﷺ أسلم واستسلم وقال ابن بطال: المراد بالفطرة دين الإسلام. قولـه: فقلت أستذكروهن: أي أتحفظهن. قولـه: قال لاوبنبيك الذي أرسلت: أولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفيه ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتحب المحافظة على اللفظ الذي وردت به وهذا اختيار المازري قال: فيقتصر على اللفظ الوارد بحروفه وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أوحى إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها.

7- باب: ما يقول إذا نام.

6312- عن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه قال: «باسمك أموت وأحيا» وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». [أطرافه في: 6314، 6324، 7394]

قولـه: إذا أوى إلى فراشة: أي دخل فيه. قولـه: باسمك أموت وأحيا: أي بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت. قولـه: وإذا قام قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا: قال أبو إسحاق الزجاج النفس التي تفارق الإنسان عند النوم هي التي للتمييز والتي تفارقه عند الموت هي التي للحياة وهي التي يزول منها التنفس وسمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً ويحتمل أن يكون المراد بالموت هنا السكون كما قالوا ماتت الريح أي سكنت فيحتمل أن يكون أطلق الموت على النائم بمعنى إرادة سكون حركته لقوله تعالى{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ}. قال الطيبي: قال: وقد يُستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية والجهل وقال القرطبي: النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن وذلك قد يكون ظاهراً وهو النوم ولذا قيل النوم أخو الموت وباطناً وهو الموت فإطلاق الموت على النوم يكون مجازاً لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن. وقال الطيبي: الحكمة في إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو ليتحرى رضا الله عنه وقصد طاعته واجتناب سخطه

وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاع فكان كالميت فحمد الله تعالى على هذه النعمة وزوال ذلك المانع، قال: وهذا التأويل موافق للحديث الآخر الذي فيه "وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" وينتظم معه قوله "وإليه النشور" أي وإليه المرجع في نيل الثواب بما يكتب في الحياة. قوله: وإليه النشور: أي البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة يقال نشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الوضوء حديث [243].

8- باب: وضع اليد اليمنى تحت الخد اليُمنى والنوم على الشق الأيمن.

6314- عن حذيفة قال كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يدهُ تحت خدّه. [أطرافه في: 6312].

6315- تقدم في كتاب الوضوء حديث [243].

فائدة: جرى البخاري على عادته في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث وأخرجها أحمد والنسائي "أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشة وضع يده تحت خده الأيمن وقال: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**» ويقول ذلك ثلاثاً.

9- باب: الدعاء إذا انتبه من الليل.

6316- عن ابن عباس قال: بت عند ميمونة فقام النبي ﷺ وكان يقول في دعائه: «**اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً واجعل لي نوراً قال كريب وسبع في التابوت فلقيت رجلاً من ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين**». [أطرافه في: 117].

قوله: وكان يقول في دعائه: فيه إشارة إلى أن دعاءه حينئذ كان كثيراً وكان هذا من جملته. عند مسلم "قال هذا الدعاء وهو ذاهب إلى صلاة الصبح". قوله: اللهم اجعل في قلبي نوراً – إلخ: قال الكرماني التنوين فيها للتعظيم أي نوراً عظيماً. قوله: وسبع في التابوت: اختلف في مراده فجزم الدمياطي بأن المراد به الصدر الذي هو وعاء القلب وسبقة ابن بطال والداودي. وقال النووي الإضلاع وما تحويه من القلب وغيره تشبيهاً بالتابوت الذي يحرز فيه المتاع وقال ابن الجوزي: يريد الصندوق أي سبع مكتوبة في صندوق عنده لم يحفظها في ذلك الوقت. قوله: فذكر عصبي: قال ابن التين: هي أطناب المفاصل. قوله: وبشري: ظاهر الجسد قاله ابن التين. قوله: وذكر خصلتين: أي تكلمه السبعة. قال القرطبي هذه هي الأنوار التي دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً يستضئ به يوم القيامة في تلك الظلم هو ومن تبعه أو من شاء الله منهم. وقال الطيبي: معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات ويتعرى عما

عداهما. فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس فكان التخلص منها بالأنوار السادة لتلك الجهات. وكل هذه الأنوار راجعه إلى الهداية والبيان.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب التهجد حديث [1120].

10- باب: التكبير والتسبيح عند المنام.

6318- تقدم في كتاب فرض الخمس حديث [3113].

فائدة: قال ابن تيمية فيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يُصبه إعياء. وفيه نظر. بل يحتمل أن من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب.

11- باب: التعوذ والقراءة عند المنام

6319- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5017].

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب فضائل القرآن حديث [5009، 5011، 5015]

12- باب: نفض الفراش قبل النوم (*)

6320- عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : «**إذا أوى أحدكم إلى فراشة فلينفض فراشة بداخله إزاره فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه. ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**». [أطرافه في: 7393].

قوله: داخله إزاره: هي الحاشية التي تلد الجلد والمراد طرف الإزار الذي يلي الجسد وعند مسلم "فليحل داخله إزاره فلينفض بها فراشة". قوله: فإنه لا يدري ما خلفه عليه: أي حدث بعده فيه، قال الطيبي: معناه لا يدري ما وقع في فراشة بعد ما خرج منه من تراب أوقذاه أو هوام.

13- باب: الدعاء نصف الليل.

6321- تقدم في كتاب التهجد حديث [1145].

قوله: الدعاء نصف الليل: أي بيان فضل الدعاء في ذلك الوقت على غيره إلى طلوع الفجر قال ابن بطال هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم وإعطاء سؤلهم وغفران ذنوبهم وهو وقت غفلة وخلوه واستغراق في النوم واستلذاذ له ومفارقه اللذة والدعة صعب لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه.

فائدة: ترجم البخاري بنصف الليل وساق الحديث أن التنزل يقع ثلث الليل والذي يظهر أن البخاري جرى على عادته فأشار إلى الرواية التي وردت بلفظ النصف فقد أخرجه أحمد عن أبي هريرة "ينزل الله إلى السماء الدنيا نصف الليل الأخير أو ثلث الليل الآخر".

14- باب: الدعاء عند الخلاء

6322- تقدم في كتاب الوضوء حديث [142].

15- باب: ما يقول إذا أصبح

6325- عن أبي ذر قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا» فإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما آماتنا وإليه النشور». [أطرافه في: 7395].

فائدة: ورد فيما يقال عند الصباح عدة أحاديث منها حديث أنس رفعه "من قال حين يصبح اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك. أعتق ربعة من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار" رواه الثلاثة. وحديث "من قال حين إذا أصبح وإذا أمسى رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً إلا كان حقاً على الله أن يرضيه" أخرجه أبو داود وحديث "من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه" أخرجه أبو داود والنسائي. وحديث فاطمة "ما منعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" أخرجه النسائي والبزار.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الدعوات حديث [6306، 6312].

16- باب: الدعاء في الصلاة.

6326- تقدم في حديث [834].

فائدة: قال الكرماني: في هذا الدعاء من الجوامع لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام فالمغفرة ستر الذنوب ومحوها. والرحمة إيصال الخيرات. وفي قوله "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" أي ليس لي حيلة في دفعة فهي حالة افتقار فأشبه حال المضطر الموعود بالإجابة وفيه هضم النفس والاعتراف بالتقصير.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب التفسير حديث [4723]. وكتاب الاستئذان حديث [6230].

17- باب: الدعاء بعد الصلاة.

6329- تقدم في كتاب الآذان حديث [843]. 6330- تقدم في كتاب الآذان حديث [844].

قوله: الدعاء بعد الصلاة: أي المكتوبة وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع متمسكاً بالحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة "كان النبي ﷺ إذا سلم لا يثبت إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" والجواب أن المراد بالنفي. نفي استمراره جالساً على هيئته قبل السلام إلا بقدر ما ذكر فقد ثبت أنه "كان إذا صلى أقبل على أصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقول بعد أن يقبل بوجهة على أصحابه. قال ابن القيم: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي ﷺ أصلا ولا الخلفاء بعده. وعامة الأدعية المتعلقة

بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها وهذا اللائق بحال المصلي فإنه مقبل على ربه مناجيه فإذا سلم انقطعت المناجاة فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه ثم يسأل إذا انصرف عنه. لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دُبر المكتوبة.

قلت: وما ادعاه من النفي مطلقاً مردود فإن قيل المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة والمراد به بعد السلام إجماعاً فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه. ومراد ابن القيم أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد لسلام وأما إذا انتقل بوجهة أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ.

18- باب: قول الله {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه.

6334- عن أنس قال: قالت أم سُليم للنبي ﷺ أنس خادمُك قال: «اللهم أكثر مالهُ وولده وبارك له فيما أعطيتهُ». [أطرافه في: 1982].

قوله: وصل عليهم: اتفقوا على أن المراد بالصلاة هنا الدعاء. قوله: ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه: هذه الترجمة إشارة إلى ما أخرجه الترمذي من حديث أبيّ بن كعب رفعه "أن النبي ﷺ كان إذا ذكر أحداً له بدأ بنفسه" وهو عند مسلم في أول قصة موسى والخضر ولفظة "وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه" ويؤيد هذا أنه ﷺ دعا لغير نبي فلم يبدأ بنفسه كقوله في قصة هاجر الماضية في المناقب "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً" وحديث أبي هريرة "اللهم أيده بروح القدس" يريد حسان بن ثابت وحديث ابن عباس "اللهم فقهه" وثبت أنه دعا لبعض الأنبياء فلم يبدأ بنفسه كما مر في المناقب من حديث أبي هريرة "يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد".

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب المغازي حديث [4323]. وحديث [4196]. وكتاب الزكاة حديث [1497] وكتاب الجهاد والسير حديث [3020] وكتاب الشهادات حديث [2655] وكتاب الجزية والموادعه حديث [3150] وحديث [3405].

19- باب: ما يُكرهُ من السّجع في الدعاء.

6337- عن ابن عباس قال: «حدّث الناس كل جُمعة مّرة فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرات ولا تُملّ الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقُصّ عليهم حديثهم فتُملّهمُ ولكن أنصت فإذا أمروك فحدّثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب».

قوله: ما يُكره من السجع في الدعاء: هو موالاة الكلام على روي واحد وقال الأزهري هو الكلام المقفي من غير مراعاة وزن. قوله: حدث الناس كل جمعه – إلخ: هذا إرشاد وقد بين حكمته. قوله: فلا ألفيتك: أي لا أجدنك وهذا النهي بحسب الظاهر للمتكلم وهي في الحقيقة

للمخاطب وفيه كراهية التحديث عند من لا يقبل عليه والنهي عن قطع حديث غيره وأنه لا ينبغي نشد العلم عند من لا يحرص عليه ويحدث أن يشتهي بسماعة لأنه أجدر أن ينتفع به. قوله: **وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه**: أي أترك السجع ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله ﷺ في الجهاد "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب هازم الأحزاب"قال الغزالي المكروه من السجع هو المتكلف لأنه لا يلائم الضراعة والذله وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة قال الأزهري: وإنما كرهة ﷺ لمشاكلته كلام الكهنة كما في قصة المرأة من هذيل.

20- باب: ليعزم المسألة فإنه لا مُكره له.

6338- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولنّ: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مُستكره له**». [أطرافه في: 7464].

6339- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مُستكره له**». [أطرافه في: 7477].

قوله: **ليعزم المسألة**: المراد بالمسألة الدعاء ومعنى الأمر بالعزم الجدّ فيه وأن يجزم بوقوع مطلوبة ولا يُعلّق ذلك بمشيئة الله تعالى وإن كان مأمور في جميع ما يريد فعله أن يُعلقه بمشيئة الله تعالى. وقيل معنى العزم أن يُحسن الظن بالله في الإجابة. قوله: **فإنه لا مُستكره له**: المراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشئ فيخفف الأمر عليه ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة. وحمل النووي النهي في ذلك على كراهة التنزيه وهو أولى ويؤيده ما سيأتي في حديث الاستخارة. وقال ابن بطال: في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريماً.

21- باب: يُستجاب للعبد ما لم يعَجل.

6340- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يُستجب لي**».

قوله: **يستجاب لأحدكم**: أي يجاب دعاؤه إذا دعا. قوله: **يقول دعوت فلم يستجب لي**: قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمّانّ بدعائه أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء وقد وقع عند مسلم عن أبي هريرة "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم وما لم يستعجل قيل وما الاستعجال قال يقول دعوت وقد دعوت فلم أر يُستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء" وقوله يستحسر أي ينقطع.

فائدة: استفيد في هذا الحديث أدب من آداب الدعاء وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من

الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة. قال الداودي: يخشى على من خالف وقال دعوت فلم يستجب لي أن يحرم الإجابة وما قام مقامها من الادخار والتكفير. أهـ. وقد قدمت في أول كتاب الدعاء الآحاديث الدالة على أن دعوة المؤمن لا ترد وأنها إما أن تعجل له الإجابة وأما أن تدفع عنه السوء مثلها وإما أن يدخر له في الآخرة خير مما سأل فأشار الداودي إلى ذلك وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله: أعلم أن دعاء المؤمن لا يرد غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً. فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض. ومن جملة آداب الدعاء تحرى الأوقات الفاضلة كالسجود وعند الآذان ومنها تقديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة ورفع اليدين وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب والإخلاص وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ والسؤال بأسمائه الحسنى.

22- باب: رفع الأيدي في الدعاء.

6341- تقدم في كتاب سجود القرآن حديث [1031].

قولـه: رفع الأيدي في الدعاء: أي على صفة خاصة.

فائدة: في الباب رد على من قال لا يرفع اليدين في الدعاء غير الاستسقاء أصلاً وتمسك بحديث أنس "لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه في شئ من دعائه إلا في الاستسقاء" وهو صحيح لكن جُمع بينه وبين أحاديث الباب وما معناها بأن المنفي صفه خاصة لا أصل الرفع وقد أشرت إلى ذلك من أبواب الاستسقاء وأن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء. وقال المنذري: وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح. قلت: ولاسيما مع كثرة الأحاديث الواردة في ذلك. وعند البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة "قدم الطفيل بن عمرو على النبي ﷺ فقال إن دوساً عصت فادع الله عليها. فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم اهد دوساً" وحديث جابر "أن الطفيل بن عمرو هاجر" فذكر قصة الرجل الذي هاجر معه وفيه "فقال النبي ﷺ اللهم وليديه فاغفر ورفع يديه" وأخرجه مسلم. ومن الآحاديث ما أخرجه البخاري من رفع اليدين "رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان" ولمسلم "من حديث عبد الرحمن بن سمره من قصة الكسوف "فانتهيت إلى النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو "وعنده في حديث عائشة في الكسوف "ثم رفع يديه يدعو" وفي حديثها عنده في دعائه لأهل البقيع "فرفع يديه ثلاث مرات" ومن حديث أبي هريرة في فتح مكة "فرفع يديه وجعل يدعو" وفي الصحيحين من حديث أبي حميد في قصة ابن اللتبية "ثم رفع يديه حتى رأيت عفرة إبطيه "يقول اللهم هل بلغت" ومن حديث ابن عمر "أن النبي ﷺ ذكر قول إبراهيم وعيسى فرفع يديه وقال: اللهم أمتي" وعند الترمذي عن عمر "كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهة كدوّي النحل فأنزل الله عليه يوماً ثم سُرّي عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه ودعا". وللنسائي والحاكم من حديث أسامة "كنت ردف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو

فمالت لـه ناقته فسقط خطامها فتناولـه بيده وهو رافع اليد الأخرى" واخرج الترمذي وأبو داود من حديث سلمان رفعه "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديـه إليـه أن يردهما صفراً " أي خاليه.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب المغازي حديث [4323] و[4339].

23- باب: الدعاء غير مستقبل القبلة.

6342- تقدم في كتاب الاستسقاء حديث [1013].

فائدة: وجه أخذه الترجمة من جهة أن الخطيب من شأنه أن يستدبر القبلة وأنه لم ينقل أنه ﷺ لما دعا في المرتين استدار.

24- باب: الدعاء مستقبل القبلة.

6343- عن عبدالله بن زيد قال: «خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستسقي فدعا واستسقى ثم استقبل القبلة وقلب رداءة». [أطرافه في: 1005].

فائدة: أشار كعادته إلى ما ورد في بعض طرقة بلفظ "وأنـه لما أراد أن يدعو استقبل القبلة وحول رداءة" والجمع بينه وبين الحديث الماضي أنه كان خطبة الجمعة بالمسجد والقصة التي في الباب كانت بالمصلى. وقد ورد في استقبال القبلة في الدعاء من فعل النبي ﷺ عدة أحاديث منها حديث عمر عند الترمذي ومسلم "لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربة" وفي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود "استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش".

25- باب: دعوة النبي ﷺ لخادمة بطول العمر وبكثرة ماله.

6344- تقدم في حديث [6334].

فائدة: أشار إلى ما ورد في بعض طرقة من الأدب المفرد عن أنس قال "قالت أم سليم وهي أم أنس - خويدمك ألا تدعو لـه؟ فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر لـه " فأما كثرة الولد والمال فوقع عند مسلم عن أنس قال "فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم" وقال النووي: كان أكثر الصحابة أولاداً. وأما طول عمر أنس فقد كانت وفاته ولـه مائة وثلاث سنين.

26- باب: الدعاء عند الكرب.

6346- عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إلـه إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم». [أطرافه في: 7431].

قولـه: الكرب: هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه فيغُمه ويحزنـه. قولـه: كان يدعو عند الكرب: أي عند حلول الكرب.

فائدة: قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه والكريم المعطي فضلا وقال ألطيبي: صدر هذا للثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية وفيه التهليل المشتمل على التوحيد وهو أصل التنزيهات الجلالية والعظمة تدل على دوام القدرة والحلم يدل على العلم إذا الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم.

27- باب: التعوذ من جهد البلاء.

6347- عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء ودَرَك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. قال سفيان: الحديث ثلاث زدتُ واحدةً لا أدري أيتُهن هي. [أطرافه في: 6616].

قولـه: جهد البلاء: قال ابن بطال: وهو كل ما أصاب المرء من شدة مشقة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه. قولـه: درك الشقاء: هو الهلاك ويطلق على السبب المؤدي له. قولـه: سوء القضاء: المراد به المقضي لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه. قولـه: شماتة الأعداء: قال ابن بطال: ما يتكأ القلب ويبلغ من النفس أشد مبلغ. وقال النووي: شماتة الأعداء: فرحهم ببلية تنزل بالمعادى.

28- باب: دُعاء النبي ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى»

6348- تقدم في كتاب المغازي حديث [4463].

29- باب: الدعاء بالموت والحياة.

6349- 6350- تقدم في كتاب المرض حديث [5672].

6351- تقدم في كتاب المرض حديث [5671].

30- باب: الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم.

6355- عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُؤتي بالصبيان فيدعو لهم فأتى بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعُه إيّاه ولم يغسله. [أطرافه في: 222].

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب العقيقة حديث [5467]وكتاب المناقب حديث [190] وكتاب البيوع حديث [2051] وكتاب العلم حديث [77] وكتاب المغازي حديث[4300].

31- باب: الصلاة على النبي ﷺ

6357- عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجره فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: **«اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**. [أطرافه في: 4797].

6358- عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال قولوا: **«اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد**

كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم». [أطرافه في: 4798].

قولـــه: الصلاة على النبي ﷺ: هذا الإطلاق يحتمل حكمها وفضلها وصفتها ومحلها. أما حكمها فاختلف فيه على أقوال منها قول الطبري أنها من المستحبات وادعى الإجماع. قولـــه: قد علِمنا: أي علمنا الله كيفية السلام عليك على لسانك. قولـــه: قولوا اللـــهم: هذه كلمة كثر استعمالها في الدعاء وهو بمعنى يا الله. قولـــه: صلِّ: عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند ملائكته ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له وعند ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وعن ابن عباس صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار. قولـــه: على محمد وعلى آل محمد: آل محمد هم أزواجه وذريته قاله الجمهور. قولـــه: على آل إبراهيم: هم ذريته من إسماعيل وإسحاق ثم إن المراد المسلمون منهم بل المتقون فيدخل فيهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون دون من عداهم. قولـــــه: وبـــارك: المراد بالبركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل المراد التطهير من العيوب والتزكية وقيل المراد إثبات ذلك واستمراره. قولـــه: إنك حميد مجيد: الحميد من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها وقيل هو بمعنى الحامد أي يحمد أفعال عباده. وأما المجيد فهو من المجد وهو صفة من كمل في الشرف وهو مستلزم للعظمة والجلال.

فائدة: قال ابن القيم: نص الشافعي على أن الاختلاف في ألفاظ التشهد كالاختلاف في القرآن ولم يقل أحد من الأئمة باستحباب التلاوة بجميع الألفاظ المختلفة في الحرف الواحد من القرآن. ا. هـ. والذي يظهر أن اللفظ إن كان بمعنى اللفظ الآخر سواء كما في أزواجه وأمهات المؤمنين فالأولى الاقتصار في كل مرة على أحدهما وإن كان اللفظ يستقل بزيادة معنى ليس في اللفظ الآخر البتة فالأولى الإتيان به ويحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر. وإن كان يُزيد على الآخر في المعنى شيئاً فلا بأس بالإتيان به احتياطاً. وقال الطبري: إن ذلك الإختلاف المباح فأي لفظ ذكره المرء أجزأ والأفضل أن يستعمل أكمله وأبلغه.

32- باب: هل يصلي على غير النبي ﷺ وقوله تعالى{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ}

6360- عن أبو حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

قولـــه: هل يصلي على غير النبي ﷺ: أي استقلالا أو تبعاً ويدخل في الغير الأنبياء والملائكة والمؤمنون فأما مسألة الأنبياء قال عياض: عامة أهل العلم على الجواز. وأما الملائكة يؤخذ ذلك من الذي قبلة لأن الله تعالى سماهم رسلاً وأما المؤمنون فاختلف فيه فقيل لا تجوز مطلقاً استقلالاً وتجوز تبعاً فيما ورد به النص أو الحق به لقوله تعالى{لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْـــنَكُمْ كَـــدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا} ولأنه لما علمهم السلام قال "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" ولما علمهم الصلاة قصر ذلك عليه وعلى أهل بيته وهذا القول اختاره القرطبي وابن تيمية وقال النووي: هو

خلاف الأول. وقالت طائفة تكره استقلالاً لا تبعاً وهي رواية عن أحمد. وقالت طائفة تجوز مطلقاً وهو مقتضى صنيع البخاري فإنه صدر بالآية وهي قوله تعالى{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} ثم علق الحديث الدال على الجواز مطلقا وعقبة بالحديث الدال على الجواز تبعاً.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الذكاة حديث [1497].

33- باب: قول النبي ﷺ : «من آذيته فاجعله له ذكاه ورحمة»

6361- عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة**».

قوله: من آذيته فاجعله له ذكاه ورحمة: عند مسلم "اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفاره له يوم القيامة" وفي رواية "اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعله ذكاه ورحمة". وأخرج من حديث عائشة سبب هذا الحديث قالت "دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فسبهما ولعنهما فلما خرجا قلت له فقال أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له ذكاة وأجراً " ومن طريق أنس وفيه تقيد المدعو عليه بأن يكون ليس لذلك بأهل ولفظه "إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وذكاه وقربة بها يقربه منه يوم القيامة".

34- باب: التعوذ من الفتن.

6362- سيأتي في حديث [7089] إن شاء الله.

35- باب: التعوذ من غلبة الرجال.

6363- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «**آلتمس لنا غلاما من غلمانكم يخدمني؟**» فخرج بي أبو طلحة يُرد فتى وراءه فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل فكنت أسمعه يُكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزَن والعجز والكسل والبخل والجبن وَضلع الدين وغلبة الرجال –**». [أطرافه في: 610].

قوله: التعوذ من غلبة الرجال: أي شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجاً ومرجاً. **قوله: الهم والحزن**: الهم ما يتصوره العقل من المكروه في الحال والحزن ما وقع في الماضي. **قوله: العجز والكسل**: العجز ضد الاقتدار والكسل ضد النشاط. **قوله: البخل والجبن**: البخل ضد الكرم والجبن ضد الشجاعة. **قوله: ضلع الدين**: أصل الضلع الاعوجاج والمراد به هنا ثقل الدين وشدته وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء ولاسيما مع المطالبة:

فائدة: قال الكرماني هذا الدعاء من جوامع الكلم لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسية وبدنية وخارجية فالأولى بحسب القوى التي للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية فالهم

والحزن يتعلق بالعقلية والجبن بالغضبيه والبخل بالشهوانية والعجز والكسل بالبدنيه. والثاني عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى.

36- باب: التعوذ من عذاب القبر.

6365- عن مصعب قال: كان سعد يأمر بخمس ويذكرهُنّ عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: **«اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا – يعني فتنة الدجال – وأعوذ بك من عذاب القبر»**. [أطرافه في: 6370، 6374].

6366- عن عائشة قالت: دخلت عليّ عجوزان من عُجز يهود المدينة فقالتا لي: إن أهل القبور يُعذبون في قبورهم فكذبتُهما ولم أُنعم أن أصُدّقهما فخرجتا ودخل عليّ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزين وذكرتُ له فقال: **«صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها»** فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر. **قوله: عن مصعب**: هو ابن سعد بن أبي وقاص. **قوله: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر**: حاصله أنه ﷺ لم يكن أوحي إليه أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال "إنما يفتن يهود" ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه وعلمه وأمر بإيقاعه في الصلاة ليكون أنجح في الإجابة.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجنائز حديث [1376].

37- باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات.

6367- تقدم في حديث [4707].

قوله: فتنة المحيا والممات: قال ابن بطال فتنة المحيا والممات كلمة جامعة لمعان كثيرة وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان ﷺ يتعوذ في جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية. قلت: وأصل الفتنة الامتحان والاختبار واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره.

38- باب: التعوذ من المأثم والمغرم.

6368- عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال اللهم أغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»**. [أطرافه في: 832].

قوله: التعوذ من المأثم والمغرم: المأثم ما يقتضي الإثم والمغرم ما يقتضي الغرم والمراد ما يلزم الشخص أداؤه كالدين وللنسائي "كان يتعوذ من المغرم والمأثم قلت يا رسول الله ما أكثر ما تتعوذ من المغرم قال إنه من غرم حدث فكذب ووعد فأخلف". **قوله: فتنة القبر**: هي سؤال الملكين وعذاب القبر. **قوله: ومن فتنة النار**: هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ. **قوله: ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك**

من فتنة الفقر: قال الغزالي: فتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حِلِهِ بمنعهِ من واجبات إنفاقه وحقوقه. وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حاله تورط. قولـــه: اللهم أغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد: قال الكرماني: جعل الخطايا بمنزلة النار لكونها تؤدي إليها فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيداً في إطفائها وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الماء إلى أبرد منه وهو الثلج ثم إلى أبرد منه وهو البرد بدليل أنه قد يجمد ويصير جليداً بخلاف الثلج فإنه يذوب.

39- باب: الاستعاذة من الجبن والكسل.

6369- تقدم في حديث [6363].

40- باب: التعوذ من البخل.

6370- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6365].

41- باب: التعوذ من أرذل العمر.

6371- تقدم في كتاب التفسير حديث [4707].

قولـــه: أرذل العمر: المراد الزيادة في كبر السن.

42- باب: الدعاء برفع الوباء والوجع.

6372- تقدم في كتاب فضائل المدينة حديث [1889].

6373- تقدم في حديث [5659].

قولـــه: الدعاء برفع الوباء والوجع: أي برفع المرض عمن نزل به سواء كان عاماً أو خاصاً. وتقدم ذكر الوباء في كتاب الطب.

43- باب: الاستعاذة من أرذل العمر ومن فتنة الدنيا ومن فتنة النار ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر.

6374- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6365].

6376- 6377- 6375- تقدم في كتاب الآذان حديث [832] وحديث [6368].

44- باب: الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة.

6378- 6379- تقدم في حديث [6334].

45- باب: الدعاء عند الإستخارة.

6382- عن جابر قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك

بقدرتك وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر وتعلمُ ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال في عاجل أمري وآجلــة – فاقــدره لي. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويُسمي حاجته». [أطرافه في: 1162، 7390].

قولــه: الاستخارة: هي استفعال الخير أو من الخيرة واستخار الله طلب منه الخيرة وخار الله لـه أعطاه ما هو خير لـه والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما. في الأمور كلها: قال ابن أبي جمرة: هو عام أريد به الخصوص فإن الواجب والمستحب لا يُستخار في فعلهما والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما. فانحصر الأمر في المباح وفي المستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه. قلت: وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك في الواجب والمستحب المخير وفيما كان زمنه موسعاً ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير. فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم. قولــه: كالسورة من القرآن: قيل وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة كعموم الحاجة إلى القراء في الصلاة. وقال ابن أبي جمرة: التشبيه في تحفظ حروفه وترتب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس لـه والمحافظة عليه ويحتمل أن يكون من جهة الاهتمام به والتحقق لبركته والاحترام لـه. ويحتمل أن يكون من جهة كون كل منهما عُلم بالوحي. قال الطيبي: فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بهذا الدعاء وهذه الصلاة لجعلها تلوين للفريضة والقرآن. قولــه: إذا همّ: قال ابن أبي جمرة ترتيب الوارد على القلب على مراتب الهمّة ثم اللّمة ثم الخطرة ثم النية ثم الإرادة ثم العزيمة. فالثلاثة الأولى لا يؤاخذ بها فقوله إذا همّ يشير إلى أوّل ما يرد على القلب يستخير فيظهر لـه بركة الصلاة والدعاء ما هو الخير بخلاف ما إذا تمكن الأمر عنده وقويت فيه عزيمته وإرادته فإنه يصير إليه لـه ميل وحب فيخشى أن يخفي عنه وجه الأرشدية لغلبة ميل إليه. ويحتمل أن يكون المراد بالهم العزيمة لأن الخاطر لا يثبت فلا يستمر إلا على ما يقصد التصميم على فعله وإلا لو استخار في كل خاطر لاستخار فيما لا يعبأ به فتضيع عليه أوقاته. قولــه: ثم يقول: هو ظاهر في تأخير الدعاء عن الصلاة فلو دعا به في أثناء الصلاة احتمل الأجزاء. وموطن الدعاء في الصلاة السجود أو التشهد. وقال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شيء لذلك أنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه مآلا وحالا. قولــه: اللهم إني أستخيرك بعلمك: أي لأنك أعلم. ويحتمل أن تكون للإستعانة ويحتمل أن تكون للاستعطاف. قولــه: وأستقدرك: أي أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة ويحتمل أن يكون المعنى أطلب منك أن تقدره لي والمراد بالتقدير التيسير. قولــه: وأسألك من فضلك: إشارة إلى أن عطاء الرب فضل منه وليس لأحد عليه حق في نعمة كما هو مذهب أهل السُنة. قولــه: فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم: إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله لــه. وكأنــه قال أنت يا رب تقدر قبل أن تخلق في القدرة

وعندما تخلقها فيّ وبعد ما تخلقها. قولـه: اللهم إن كنت تعلم أن هـذا الأمـر: الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم. قولـه: ومعاشـي: المراد الحياة ويحتمل ما يعاش فيه. قولـه: فاقدره لي: قال الكرماني أي يسره لي. قولـه: فاصرفه عني واصرفني عنه: أي حتى لا يبقى قلبه بعد صرف الأمر متعلقاً به وفيه دليل لأهل السنة أن الشر تقدير من الله على العبد لأنه لو كان بقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه. قولـه: ثم رضـني: أي اجعلني به راضياً والسرّ فيه أن لا يبقي قلبه متعلقاً به فلا يطمئن خاطره والرضا سكون النفس إلى القضاء.

46- باب: الدعاء عند الوضوء.

6383- تقدم في كتاب المغازي حديث [4323].

47- باب: الدعاء إذا علا عقبه وإذا هبط وادياً.

6384- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2992].

قولـه: الدعاء إذا علا عقبه: ترجم بالدعاء وأورد في الحديث التكبير وكأنه أخذه في قوله في الحديث "إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً" فسُمي التكبير الدعاء ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس لما فيه عن استشعار الكبرياء فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرح كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبح في الظلمات فنجي من الغم.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجهاد والسير حديث [2993].

48- باب: الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع.

6385- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يُكبرّ على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». [أطرافه في: 1797].

قولـه: قفل: أي رجع وعند مسلم "كان إلى استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا - إلى أن قال - وإذا رجع قالهن وزاد آيبون تائبون". قولـه: من غزو أو حج أو عمرة: ظاهرة اختصاص ذلك بهذه الأمور الثلاث وليس الحكم كذلك عند الجمهور بل يشرع في كل سفر. قولـه: يكبر على كل شرف: هو المكان العالي. قولـه: ثم يقول لا إله إلا الله – إلخ: يحتمل أنه كان يأتي بهذا عقب التكبير وهو على المكان المرتفع ويحتمل أن التكبير يختص بالمكان المرتفع وما بعده إن كان متسعاً أكمل الذكر فيه وإلا فإذا هبط سبح. قولـه: آيـون: جمع آيب راجع. والمراد الرجوع في حالة مخصوصة وهي تلبسهم بالعبادة المخصوصة. قولـه: تـائبون: فيه إشارة إلى

التقصير في العبادة. **قولـــه: صدق الله وعده**: أي فيما وعد به من إظهار دينه في قوله "وعدكم مغانم كثيرة". وقوله "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين". **قولـــه: ونصر عبده**: يريد نفسه ﷺ. **قولـــــه: وهزم الأحزاب وحده**: أي من غير فعل أحد من الآدميين واختلف في الأحزاب فقيل هم كفار قريش ومن وافقهم من العرب واليهود الذين تحزبوا أي تجمعوا من غزوة الخندق ونزلت في شأنهم سورة الأحزاب. وقيل المراد أعم من ذلك.

49- باب: الدعاء للمتزوج.

6386- تقدم في حديث [5153]. 6387- تقدم في حديث [5367].

50- باب: ما يقول إذا أتى أهله.

6388- تقدم في كتاب النكاح حديث [5165].

51- باب: قول النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة».

6389- تقدم في كتاب التفسير حديث [4522].

قولـــه: قول النبي ﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة: قال ابن كثير الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل إلى غير ذلك وأما الحسنة في الآخرة فأعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفذع الأكبر وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الأخرة. وأما الوقاية من عذاب النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات.

52- باب: تكرير الدعاء.

6391- تقدم في كتاب المرضى حديث [5763].

53- باب: الدعاء على المشركين.

6392- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2933].

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب أحاديث الأنبياء حديث [3386] وكتاب مناقب الأنصار حديث [3854]وكتاب التفسير حديث [4559] و[4560]و[4533] وكتاب الأدب حديث[6024] وكتاب المغازي حديث [4111] وحديث [4094].

54- باب: الدعاء للمشركين.

6397- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2937].

قولـــه: الدعاء للمشركين: حكى أبن بطال أن الدعاء على المشركين جائز وإنما النهي عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر والمنع حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم والتقييد بالهداية يرشد إلى أن المراد بالمغفرة في قوله "أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"

العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها لأن ذنب الكفر لا يمحي أو المراد اهدهم إلى الإسلام. أو المعنى اغفر لهم أن اسلموا.

55- باب قول النبي ﷺ : «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت»

6398- عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني ،اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وجَدّي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير».

قوله: يدعو بهذا الدعاء: عند مسلم محل الدعاء وفيه "ثم يكون من آخر ما يقول بعد التشهد والسلام". قوله: رب اغفر لي خطيئتي: الخطيئة الذنب. قوله: وجهلي: الجهل ضد العلم. قوله: وإسرافي: الإسراف مجاوزة الحد في كل شيء. قوله: وجَدي: الجد ضد الهزل. قوله: وكل ذلك عندي: أي موجود وممكن.

56- باب: الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة.

6400- تقدم في كتاب الجمعة حديث [935].

قوله: الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة: أي التي ترجى فيها إجابة الدعاء واختلف في ذلك كثيراً واقتصر الخطابي منها على وجهين أحدهما أنها ساعة الصلاة والآخر أنها ساعة من النهار عند دنو الشمس للغروب.

57- باب: قول النبي ﷺ : «يستجاب لنا في اليهود ولا يُستجاب لهم فينا»

6401- تقدم في كتاب الأدب حديث [6024].

قوله: يستجاب لنا - إلخ: أي لأنا ندعو عليهم بالحق وهم يدعون علينا بالظلم. ويستفاد منه أن الداعي إذا كان ظالماً على من دعا عليه لا يستجاب دعاؤه.

58- باب التأمين.

6402- تقدم في كتاب الأذان حديث [780].

59- باب: فضل التهليل.

6403- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3293].

60- باب: فضل التسبيح.

6405- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

6406- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان

حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده». [أطرافه في: 6682، 7563].

قولـه: فضل التسبيح: يعنى قول سبحان الله ومعناه تنـزيه الله عما لا يليق بـه من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل. ويطلق التسبيح ويراد بـه جميع ألفاظ الذكر ويطلق ويراد به صلاة النافلة وأما صلاة التسبيح فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها. قولـه: مثـل زبد البحر: الكناية عن المبالغة من الكثرة.

الحديث الثاني: قولـه: خفيفتان على اللسان: قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات فلا يشق عليه.

فائدة: قال عياض قولـه "حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" مع قولـه في التهليل "مُحيت عنه مائة سيئة" قد يُشعر بأفضلية التسبيح على التهليل يعني لأن عدد زبد البحر أضعاف أضعاف المائة. لكن تقدم في التهليل "ولم يأت أحد بأفضل مما جاء بـه" فيحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون التهليل أفضل وأنه بما زيد من رفع الدرجات وكتب الحسنات ثم ما جعل مع ذلك من فضل عتق الرقاب قد يزيد على فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا عموماً بعد حصر ما عدد منها خصوصاً مع زيادة مائة درجة وما زاده عتق الرقاب. ويؤيد "أفضل الذكر التهليل" وأنه أفضل ما قاله النبيون من قبله وهو كلمة التوحيد والإخلاص وقيل أنه اسم الله الأعظم. أ. هـ. قلت وحديث "أفضل الذكر لا إله إلا الله" "أخرجه الترمذي والنسائي" ولا يلزم أن يكون التسبيح أفضل من التهليل لأن التهليل صريح في التوحيد والتسبيح متضمن لـه. فيكون لا إله إلا الله أفضل لأن التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه.

61- باب: فضل ذكر الله ﷻ.

6407- عن أبي موسى قال: قال النبـي ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكرُ ربه مثل الحـيّ والميت».

6408- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلُمّوا إلى حاجتكم قال فيحُفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الـدنيا قال: فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم منهم ما يقول عبادي» قال: تقول: يُسبحونك ويُكبرونك ويحمدونك ويمجدونك،قال: فيقول هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك قال: فيقول كيف لو رأوني؟ قال يقولون لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة وأشدّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال: يقول فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال: فممّ يتعوذون؟ قال: يقولون من النار قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون لا والله يا رب ما رأوها قال: يقول فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً وأشدّ لها مخافة. قال: فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى جليسُهم. قولـه:

فضل ذكر الله ﷻ: المراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر"وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ويطلق ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة. ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر علية الناطق وإن إنضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل وورد في فضل الذكر أحاديث أخرى منها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة "قال النبي ﷺ يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني - الحديث". ومنها عنه أيضاً "يعقد الشيطان - وفيه فإن قام فذكر الله انحلت عقده" ومنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعاً"لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينه"ومن حديث معاوية رفعه "أنه قال لجماعة جلسوا يذكرون الله تعالى آتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة" ومن حديث سُمرة رفعه "أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت" ومن حديث أبي هريرة رفعه "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس" وأخرج الترمذي والنسائي عن الحارث بن الحارث وفيه "فأمركم أن تذكروا الله وإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثرة سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى، وعن عبد الله بن بسر "أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله" وأيضاً من حديث أبي الدرداء مرفوعاً "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأذكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى. قال: ذكر الله ﷻ". **قوله: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**: عند مسلم "مثل البيت".

الحديث الثاني: **قوله: فيحفونهم بأجنحتهم**: أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين. **قوله: هم الجلساء**: فيه إشعار بالكمال أي هم القوم كل القوم. **قوله: لا يشقى جليسهم**: هذه الجملة لبيان المقتضى لكونهم أهل الكمال.

فائدة: أشرت مستشكلاً في أوائل الجهاد مع ما ورد في فضل المجاهد أنه كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر وغير ذلك مما يدل على أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة وطريق الجمع أن المراد بذكر الله الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب واستحضار عظمة الله وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار ذلك. وأجاب ابن العربي بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلاً فليس عمله كاملاً فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية. وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما

يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم.

62- باب: قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

6409- سيأتي في حديث [6610].

63- باب: لله ﷻ مائة اسم غير واحده.

6410- عن أبي هريرة قال: «لله تسعةٌ وتسعون اسماً مائة إلا واحده لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يُحب الوتر». [أطرافه في: 7392].

قوله: لله مائة اسم غير واحده: قال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عيّن الأسماء قلت وقد اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن. وهذا سردها لتعرف "الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. الغفار. القهار. التواب. الوهاب. الخلاق. الرزاق. الفتاح. العليم. الحليم. العظيم. الواسع. الحكيم. الحي. القيوم. السميع. البصير. اللطيف. الخبير. العلي. الكبير. المحيط. القدير. المولى. النصير. الكريم. الرقيب. القريب. المجيب. الوكيل. الحسيب. الحفيظ. المقيت. الودود. المجيد. الوارث. الشهيد. الولي. الحميد. الحق. المبين. القوي. المتين. الغني. المالك. الشديد. القادر. المقتدر. القاهر. الكافي. الشاكر. المستعان. الفاطر. البديع. الغافر. الأول الآخر. الظاهر. الباطن. الكفيل. الغالب. الحكم. العالم. الرفيع. الحافظ. المنتقم. القائم. المحيي. الجامع. المليك. المتعالي النور. الهادي. الغفور. الشكور. العفو. الرؤف. الأكرم. الأعلى. البر. الحفي. الرب. الإله. الواحد. الأحد. الصمد. الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". ونقل النووي الاتفاق فقال ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى وإنما المقصود أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخوله الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود الذي أخرجه ابن حبان "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتاب أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" وقال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداها من الزيادة وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني. وقال القرطبي نحو ذلك. واختلف في الأسماء هل هي توقيفيه بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء إلا إذا ورد نص إما في الكتاب أو السُنّة. فقال الفخر الرازي المشهور عن أصحابنا أنها توقيفيه وقال الغزالي الأسماء توقيفية دون الصفات واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفه توهم نقصاً ولو ورد ذلك نصاً فلا يقال "ماهد. ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وإن ثبت في قوله "فنعم الماهدون، أم نحن الزارعون، فالق الحب والنوى" ونحوها ز ولا يقال ماكر ولا بناء وإن ورد "ومكر الله" و"والسماء بنيناها". وأما أسم الله الأعظم فقد أنكره قوم فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض وقال آخرون أستأثر الله

تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحداً من خلقه. وأثبته آخرون وحمله ما وقفت عليه. من ذلك أربعة عشر قولاً منها "هو" ومنها "الله" ومنها "الرحمن الرحيم" ومنها "الحي القيوم" ومنها "إله واحد" ومنها "الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام" وكل هذا سنده ضعيف وأما الأرجح من حيث السند من جميع ما ورد هو ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة "الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". قوله: من حفظها: عند مسلم "من أحصاها" قال الخطابي الإحصاء يحتمل وجوهاً أحدها أن يعدها حتى يستوفيها ولا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلها. ومنها أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء. وقال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين معناه حفظها وهذا هو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر. وهو قول الأكثرين. قلت: بل يحتمل الحفظ المعنوي. ولا يلزم من مجيئة بألفاظ حفظها تعين السرد عن ظهر قلب. وقال الأصيلي ليس المراد بالإحصاء العد فقط لأنه قد يعدها الفاجر وإنما المراد العمل لها. قوله: وهو وتر يحب الوتر: الوتر الفرد ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام وقال القرطبي: يظهر لي أن الوتر يراد به التوحيد فيكون المعنى أن الله في ذاته وكماله أفعاله واحد ويحب التوحيد أي أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه فيلتئم أول الحديث وأخره.

64- باب: الموعظة ساعة بعد ساعة.

6411- تقدم في كتاب العلم حديث [70].

فائدة: مناسبة هذا الباب لكتاب الدعوات أن الموعظة يخالطها غالباً التذكير بالله وقد تقدم أن الذكر من جملة الدعاء.

تم بحمد الله كتاب الدعوات

ويليه كتاب الرقاق إن شاء الله

* * * * *